مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-41X
مجلد: 08 عدد: 01 السنة: 2022 E-ISSN:2588-2325

تمثلات الموت بفيروس كورونا وانعكاساتها على طرق مواجهة الفيروس دراسة أنثروبولوجية

Perceptions of death from the Corona virus and their implications for ways to confront the virus an anthropological study

فتحية قروف*، جامعة لونيسي علي، مخبر الجريمة والانحراف، بين الثقافة والتمثلات الاجتماعية (البليدة 02)، ef.guerrouf@univ_blida2.dz

الزهرة بن عاشور، جامعة لونيسي علي، البليدة 02، zahra_blida@outlook.com

تاريخ الإرسال: 2021/12/01 تاريخ القبول: 2022/05/27 تاريخ النشر: 2022/12/15

ملخص:

خصصت هذه الدراسة لكشف مدى تأثير التمثلات الثقافية للموت والطقوس الجنائزية على طرق مواجهة فيروس كورونا في قرية سيدي معاش بولاية قالمة انطلاقا من الملاحظة بالمعايشة واستخدام الإخباريين، لرصد أهم السلوكيات الرائجة في مواجهة الوباء وتحليل مدلولاتها، وذلك بالاعتماد على فك نسق العلاقات بين تصورات الأفراد وتمثلهم للمعاني الرمزية المجسدة في طقوس ومعتقدات المنطقة، وبين الممارسات التي تنجم عن هذه التصورات في فترة انتشار الأوبئة وبصفة خاصة عند عرقلة هذه الممارسات الطقوسية وتشويه كل ما تحمله من معاني رمزية.

تعددت نتائج هذه الدراسة بين التأكيد على دور الجانب الثقافي في تفاعل الافراد مع طرق الوقاية من الفيروس، إضافة الى حضور واضح لدور كل من الجانبين النفسي والاجتماعي في توجيه ردود الأفعال خلال انتشار الوباء، مع هيمنة الخوف من طريقة الدفن حسب البروتوكول المتبع لضحايا كورونا أكثر من القلق إزاء الموت في حد ذاته وذلك راجع إلى عدم احترام البروتوكول الصحي للشخصية الثقافية لأفراد المجتمع والمتمثلة هنا في عنصر الطقوس الجنائزية.

الكلمات المفتاحية: الطقوس، التمثلات، الجنائز، الموت، كورونا.

* فتحية قروف

Abstract:

This study was devoted to revealing the impact of cultural representations of death and funeral rites on the ways to confront the Corona virus in the village of Sidi Maaash in the city of Guelma, based on observation by coexistence and the use of newsmen, to monitor the most important popular behaviors in the face of the epidemic and analyze its implications, by relying on decoding the relationships between the perceptions of individuals and their representation. of the symbolic meanings embodied in the rituals and beliefs of the region, and the practices that result from these perceptions during the period of epidemics, especially when these ritual practices are obstructed and all their symbolic meanings are distorted.

The results of this study varied between emphasizing the role of the cultural aspect in the interaction of individuals with ways to prevent the virus, in addition to a clear presence of the role of each of the psychological and social sides in directing reactions during the spread of the epidemic, with the predominance of fear of the method of burial according to the protocol followed for Corona victims more than Concern about death in itself is due to the lack of respect for the health protocol of the cultural personality of the members of society, which is represented here in the element of funeral rites.

Keywords: the rites, perceptions, funerals, death, Corona.

مقدمة:

منذ بداية الزمن تصارع الإنسان مع حقيقة فنائه فتنوعت طرق تفاعله مع هذا الحدث المؤلم، خاصة عندما يتعلق الأمر بتفشي الموت عن طريق الحروب أو انتشار الأوبئة، إذ يعمل العنصر الثقافي في هذه الحالة على توفير الطقوس التي تساعد المعزين على التأقلم مع حقيقة الموت كحدث اجتماعي أكثر منه توقف للأعضاء والوظائف الجسدية.

هذه الطقوس تحمل في طياتها دلالات رمزية تحدد أبعاد التمثلات الذهنية للفاعلين لها ومن خلال هذه التمثلات يمكن للباحثين فهم ردود الأفعال المصاحبة لفكرة الموت وكذا التعامل مع الخطر المؤدي إليها.

وخلال تفشي موجة وباء كورونا صار من المحتمل إصابة أي شخص بالعدى وإمكانية موته بهذا الفيروس، ولتفادي ذلك وضعت السلطات المحلية بمعية مديرية الصحة طرقا وقائية للتحكم في انتشار الوباء والتقليل من مخاطر الإصابة به، ومن بينها بروتوكول الدفن هذا الأخير الذي تم فيه إلغاء قسم كبير من طقوس الدفن المتعارف عليها، وتشويه القسم المتبقي فكيف كان رد فعل الفاعلين الإجتماعيين خلال تطبيق هذه الاجراءات الوقائية؟ خاصة خلال حدث مهم ومفزع في ذات الوقت ألا وهو الموت بالوباء؟ للإحاطة بهذا الموضوع ولفهم كل أبعاده انطلقنا من السؤال الرئيسي الآتي:

- ما هي تمثلات الموت بفيروس كورونا وما هي انعكاساتها على طرق مواجهة الوباء؟

الاسئلة الفرعية:

ولقد تفرعت عن إشكالية بحثنا الاسئلة التالية:

- كيف انعكست تمثلات الأفراد لفيروس كورونا على تعاملهم مع الوباء؟

ما هي تمثلات الأفراد لأساليب الوقاية من الفيروس؟ وما هو أثرها على تطبيق هذه الاساليب؟

- كيف يتمثل الأفراد بروتوكول الدفن بفيروس كورونا؟

الفرضيات:

للإجابة عن هذه الأسئلة اقترحنا الفرضيات الآتية:

- غياب العقلانية والحس السليم في التعامل مع المرض لعدم إدراك ماهيته.
- التفاعل السلبي للأفراد مع الأساليب الوقائية راجع إلى تعارضها مع تمثلات الأفراد لمفهوم الحماية.
- البروتوكول المتبع في دفن ضحايا الفيروس يشوه الطقوس الجنائزية مما يدعو المصابين إلى رفض القيام بالفحص.

1- المقاربة المنهجية:

من أجل الإلمام بموضوع دراستنا ارتأينا استخدام المنهج الإثنوغرافي، حيث يمكننا من الوصف التحليلي للأحداث الاجتماعية وأفعال أفراد مجتمع البحث إذ يؤكد "جيرتز" أن الدراسات الأنثروبولوجية يجب أن تبحث عن تفسير الشبكات ذات الأهمية الثقافية التي ينشئها الناس ويخضعون لها ويمكن للأنثروبولوجيا اكتشاف وتفسير هذه الشبكات من المعاني من خلال الوصف الإثنوغرافي المفصل (Ansart, 1977, p. 122)فالتحقيق الإثنوغرافي يعتبر أداة فعالة لجمع المادة المعرفية التي قمنا بجمعها خلال استخدام تقنية الملاحظة بالمعايشة، إذ تعرف هذه الأخيرة على أنها عملية مراقبة أو مشاهدة للسلوك الظاهر والمشكلات والأحداث ومكوناتها البيئية والمادية ومتابعة سيرها بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف " (L. stein & L. stein, p. 123)كما أن الباحث في هذه الطريقة يكون جزءا من

الجماعات التي ينوي دراستها وذلك من خلال مشاركته مشاركة كاملة في حياتها وفعاليتها اليومية بالإضافة لاعتمادنا على المخبرين وفيما يخص مجتمع البحث فقد انصبت دراستنا على سكان قرية سيدي معاش بولاية قالمة وامتدت فترة دراستنا هذه من بداية شهر مارس الى غاية شهر سبتمبر 2020.

2- مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

تستوجب أي دراسة الوقوف على أهم المفاهيم العلمية، لتسهيل عملية الفهم والتحليل وبحكم أن الأنثروبولوجيا كما يرى الباحث كلاكهون "لا تسعى وراء التعريف الفلسفي التقليدي إنما إلى التعريف الإمبريقي الذي يستخدم في الغرض الذي وضع من أجله "(الشواني و ابراهيم، 1992، صفحة 107)، ولتجنب الوقوع في فوضى المفاهيم وتشابكها وتشعب دلالاتها حددنا أهم المصطلحات التي قمنا باعتمادها في دراستنا ومن ضمنها:

2-1- مفهوم التمثلات:

التمثل في علم النفس هو الادراك أو التصور العقلي الذي يرتبط محتواه بموضوع أو وضعية في العالم المحسوس أين يعيش موضوع التمثل، أما في علم الاجتماع فلقد قدم العديد من الباحثين تعريفات لمصطلح تمثلات (رحاب، 2016، صفحة 5) نذكر منها تعريف jodelet بأنها مجموعة تصورات لعدة مواضيع أو ظواهر معينة لمجتمع معين وهي تعمل على ربط الحياة الرمزية غير الملموسة كالعقائد والمعارف بواقع الحياة الملموس للفرد الاجتماعي وهي تختلف من موضوع لآخر حسب السياق والجماعة الاجتماعية.

كما تساعدنا في كشف خفايا الذات البشرية وفك مكنوناتها وألغازها ومفاهيمها وفلسفتها التي لها ارتباط وثيق بمعانيها المتولدة من داخل المجتمع وما يحتويه من تقاليد وقيم، فالتمثلات كما عبر عنها الدكتور مختار رحاب هي عبارة عن مرآة تتجسد فيها الافكار والمشاعر الفردية والجماعية.

2-2-مفهوم الطقس:

كلمة طقس "Rite" مشتقة من الكلمة اللاتينية "Ritus" التي تعني العبادة أو احتفال ديني أو عادات وتقاليد والطقوس كما يعرفها علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية: هي مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعة للقيام بها(بونيت و ايزار، 2006، صفحة 221)." ولقد استعمل راد كليف براون في كتاباته الأنثروبولوجية مصطلح القيم الطقوسية وتنص فرضيته حول الطقوس على أن القاعدة الأساسية للطقس هي تطبيق القيم الطقسية على الأشياء والحوادث والمناسبات التي يمكن اعتبارها

بمثابة الأهداف ذات المصالح المشتركة التي تربط أعضاء المجتمع الواحد، أو تمثل تمثيلا رمزيا جميع الأشياء التي تستند على تأثير السلوك الرمزي بأنواعه المتعددة ومنه يمكن اعتبار فرضيته حول الطقوس بأنها فرضية عامة للرموز لها تأثيراتها الاجتماعية المهمة، وهكذا نجد مفهوم الطقوس عند "راد كليف براون" عبارة عن حدث رمزي يعبر عن قيم اجتماعية معبرة (بونيت و ايزار، 2006، صفحة 222)." والطقوس في بحثنا هي عبارة عن وسائل وطرق عملية وأخرى كلامية في السر أو في الجهر وبواسطة هذه الوسائل العملية واللفظية يحقق الفاعلين الاجتماعيين غايتهم من إجراء هذه الطقوس.

3-2-مفهوم طقوس المرور:

يقصد بطقوس المرور "مرور التغيير في الوضع الاجتماعي للشخص في أذهان المشاركين ومنحه موافقة المجتمع أو شرعية التغيير" (L. stein & L. stein, p. 122) وغالبا ما تتكون هذه الطقوس من أنشطة ثقافية وقد حدد "فان جينيب" طقوس المرور في هيكل ثلاثي الأجزاء :

- طقوس الفصل: في هذه المرحلة يتم إزالة الفرد من وضعه السابق، وهو في بعض المجتمعات انفصال مفاجئ للفرد عن المجتمع، وفي مجتمعات أخرى يحدث على مدى فترة طويلة من الزمن، وغالبا ما تتكون طقوس الانفصال من أنشطة تقليدية.
- طقوس الهامش: خلال هذه المرحلة تجري عدة أنشطة تؤدي إلى تغيير الوضع.
- طقوس التأسيس: حيث يتغير الوضع الاجتماعي للفرد، بمعنى يغير علاقته الاجتماعية مع أعضاء المجتمع الاخرين(Van Gennep, 1960, p. 50)

ولقد تناولنا في دراستنا هذه الموت بفيروس كورونا كطقس من طقوس المرور نظرا لدوره في الحياة الاجتماعية وارتباط الافراد بالضوابط الدينية والموروث الشعبي من خلال ممارسة هذه الطقوس.

3- مجتمع البحث والدراسة الميدانية:

يؤكد د.مختار رحاب على أن البناء الثقافي العام للمجتمع بتراكيبه الرمزية والتعبيرية يضفي الطابع الاجتماعي على مكونات التمثلات وتعابيرها فتقوم التمثلات بوظيفة هامة داخل المجتمع إذ تعمل على توجيه السلوك ونمذجته وتركيب عناصره ارتباطا بالمحيط الدائر، ولفهم أبعاد سلوك أفراد مجتمع البحث وتمثلاتهم لابد لنا من التطرق إلى طبيعة هذا المجتمع وتركيبته المورفولوجية حيث يصرح مصطفى عوفي بأن خصائص الأسرة الجزائرية في الوقت الراهن هي نتيجة تزاوج بين ما خلفه المستعمر وبين العادات والتقاليد والقيم الحضارية التي سيطرت على المجتمع الجزائري في الماضي (عوفي و بعطوش، 2014، صفحة 136)، وهذا ما ينطبق على الأسرة بقرية سيدي معاش ونلاحظ ذلك من خلال حضور مصطلح العرش حيث أنه يمثل لدى سكان القرية مجتمع مصغر يجمع عدة ألقاب وعائلات تجمعها قرابة

الدم، وتكون " ركيزة الانتماء في العرش هي الجد "(بوتفنوشت، 1984، صفحة 46) وعليه فان النسق القرابي له دور أساسي داخل هذا المجتمع فلا تزال الأعراش هي البنية الأساسية لتماسك الأفراد.

ولتحليل ردود الأفعال الخاصة بمواجهة الوباء انطلقنا من تمثلات الأفراد لفيروس كورونا النابعة عن خلفيتهم الثقافية وتركيبة المجتمع المحلي ورصدناها كالتالي:

4- طبيعة الفيروس والتّعريف به:

يقول بيار أنصار "إن المجتمعات سواء الحديثة منها أو التقليدية أو تلك المسماة بلا كتابية تنتج دوما متخيلات des imaginaires لتعيش بها وتبني من خلالها رموزها وصورها عن نفسها وعن الأشياء والعالم، وبواسطتها تحدد أنظمة عيشها الجماعي ومعاييرها الخاصة " (Ansart, 1977, p. 21) وهو الحال بالنسبة للتمثلات التي يحملها سكان القرية عن مرض كورونا القادم من الصين فهذا الوباء و بحسب تعريف منظمة الصحة العالمية هو فيروس جديد من فيروسات السلالة التاجية والتي تصيب الجهاز التنفسي و تظهر على المصاب أعراض الحمى والسعال الجاف وضيق في التنفس الناتج عن الالتهاب الرئوي ، كما يمكن أن يؤدي هذا الفيروس إلى الوفاة وهو يتشابه في أعراضه مع الزكام العادي (World heath organization, 2020, p. 2).

فهذا التعريف المتناقل عبر وسائل الإعلام لم يلقى الوعي اللازم بخطورة الفيروس من قبل سكان القرية وذلك راجع أساسا الى ثلاثة أسباب رصدناها كالأتي:

- تشابه أعراض المرض مع أعراض الزكام هذا الأخير الذي لا يمثل مرضا خطيرا في ذهنية سكان القرية، إذ لا يعتبرون الزكام مرضا يجب الخوف من الإصابة به بل هو من الأمراض التي لا يصح حتى أن يقال بأن المصاب بها مريض، فلا تتم زيارته و لا يبقى في الفراش ولا يتناول أدوية طبية، بل عليه فقط بشرب مزيج من مطبوخ الأعشاب ثم يمارس نشاطاته اليومية بشكل عادي، وهو ما أدى الى انتشار الفيروس بسرعة شديدة وإصابة العديد من العائلات في القرية.
- ظهور الوباء في الصين خلال فترة اعتدائهم على الأقلية المسلمة من الإيغور، هو ما فسر على ضوئه أفراد القرية بأن هذا المرض لا يصيب إلا الكفار فهو غضب من الله عاقب به الصينيين.
- انتشار اعتقاد أن الفيروس لن يقتل سوى الصينيين بسبب أن دماؤهم ملوثة وذلك راجع لطبيعة غذائهم كتناولهم للخفافيش، والتي انتشرت صورها في مواقع التواصل الاجتماعي.

كلها أسباب أدت إلى عدم الوعي الكافي بخطورة الفيروس، ونلمس في ذلك تأثير واضح لتمثلات الأفراد وتصوراتهم للمرض في حد ذاته وأسباب ظهوره وما يحيط به من أعراض وحتى نتائجه الوخيمة.

كما سعت الدولة إلى وقف انتشار فيروس كورونا وذلك من خلال فرضها لعدة تدابير احترازية وبروتوكولات وقائية لاقت هي الأخرى ردود أفعال مختلفة من قبل سكان المنطقة.

5- البروتوكول الوقائي:

يؤكد علماء الأوبئة والأطباء في جميع أنحاء العالم على أن أقوى سلاح نمتلكه لمكافحة كوفيد 19 هو تغيير سلوكياتنا، وفي الواقع فإن الإجراءات التي فرضتها الحكومات من إغلاق للحدود ووقف التجمعات الجماهيرية وإغلاق بلدان بأكملها تمثل جميعها محاولات لضمان تغيير السلوك على نطاق واسع، فهل غير سكان القرية سلوكياتهم في ظل فرض الحجر الصحي لحمايتهم من خطر الفيروس؟

5-1- التباعد الإجتماعي:

تلاحظ الدراسات البسيكو-سوسيولوجية تغيرا في أنماط سلوك الأفراد والجماعات في زمن الكوارث والأوبئة فما كان يعرف بالعقلانية التي تحكم السلوك والتصرفات في مسار الحياة اليومية حتى وان كانت هشة ينهار فجأة(ماهر، 2020، صفحة 20) و هو ما لم نلاحظه في مجتمع البحث خلال بداية انتشار موجة فيروس كورونا فرغم حملة التوعية التي قام بها فريق من الأطباء رفقة رجال الأمن بحضورهم إلى القرية ومخاطبة السكان عبر مكبر الصوت وتنبيههم بخطورة الوضع والتأكيد على ضرورة الالتزام بالحجر الصحي والتباعد الاجتماعي ومنع زيارة الأقارب.

كما أكدت على ضرورة الغاء كل المناسبات الاجتماعية المتمثلة في الاعراس والجنائز لما تحمله من طابع التجمع هذا الأخير الذي قد يفضي الى نتائج وخيمة في انتشار الفيروس إلى أن أغلبية السكان لم يمتثلوا لهذه التحذيرات خاصة كبار السن منهم الذين يجتمعون بشكل يومي للمشاهدة أو المشاركة في الألعاب الشعبية بالمنطقة نذكر منها ما اصطلح عليه "الخربقة"، كما أنه من المحتمل أن يخاطر شخص ما بمصافحة شخص آخر أثناء انتشار الوباء لكونه أحد أفراد مجموعته الاجتماعية، وهو ما يمكن تفسيره بتشارك سكان القرية في هوية اجتماعية واحدة يطلقون عليها اسم "أولاد الدوار" ولقد أثبتت الدراسات التجريبية أن عضوية الفرد داخل الجماعة الاجتماعية تؤثر في افكاره ومواقفه وإدراكه وسلوكه بشكل عام (H.Greenawy, May 2020, p. 9) حيث يعتبر أن باقي أفراد المجموعة التي ينتمي إليها أقل تهديدا من الأعضاء خارج المجموعة والذين يمثلهم في دراستنا هذه سكان المدينة، ومع انخفاض درجة احتمال التهديد وزيادة الثقة بين أفراد المجموعة ينتج بالضرورة انخفاض لإدراك المخاطر وزيادة خطر الاصابة لتقع النتيجة الحتمية المتمثلة في تسارع انتشار الامراض المعدية عموما وكورونا بصفة خاصة(H.Greenawy, May 2020, p. 10)

شكل رقم 01 : مخطط يبين المسارات الرئيسية لدور الجماعات الاجتماعية في انتشار كوفيد-19

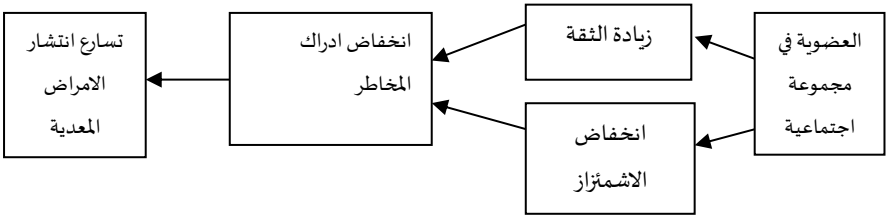

المصدر: دراسة كاثرين إتش غريناوي لنموذج الهوية الاجتماعية ودورها في المخاطر الصحية يلخص هذا النموذج الاطار المفاهيمي للمسارات الرئيسية التي تشكل من خلالها الجماعات الاجتماعية ادراكها للمخاطر وكيفية انخراطها في السلوكيات التي تساهم في انتشار الامراض المعدية ,H.Greenawy) May 2020, p. 11)

5-2-ارتداء الكمامة الطبية:

من بين الوسائل الوقائية لتجنب انتقال العدوى بفيروس كورونا ارتداء الكمامة الطبية المعقمة وذلك حرصا على عدم انتقال رذاذ الشخص المصاب الى غيره عن طريق العطس او السعال هذه الوسيلة التي يحمي بها الافراد أنفسهم من المرض لاقت وخاصة في بداية انتشار الفيروس الرفض التام من قبل فئة الرجال كبار السن، وتعود صعوبة اقناع الرجال و خاصة كبار السن منهم بارتداء الكمامة إلى الخلفية الثقافية لسكان المنطقة ورمزية الكمامة التي يتمثلها افراد المجتمع المحلي وفي هذا السياق يمكننا الاستناد الى ما يذهب اليه جيرتز اذ يرى "أن الإنسان هو المخلوق الذي يرتبط بنسيج المعاني الذي يقوم هو شخصيا بنسجها" (ابراهيم و مصطفى، صفحة 98) أي ان افراد مجتمع البحث يخضعون في ممارساتهم وتفاعلهم مع هذا الوباء الى المعاني والتمثلات التي انتجها المجتمع نفسه والمتمثلة في ثقافته اذ تتميز هذه الاخيرة ببروز فكرة الهيمنة الذكورية أو الرجولة التي عرفها بورديو كالأتي: "إن الرجولة كما نرى مقولة علائقية للغاية، شيدت قبالة الرجال الاخرين ومن اجلهم، وضد الانوثة، على شكل خوف من المؤنث، وداخل النفس ذاتها " (بورديو، 2009، صفحة 16)

فهاجس فقدان الرجولة وما يحيطها من امتيازات ثقافية قوي بما يكفي لتعريض الفرد نفسه لخطر المرض في سبيل حماية هويته الذكورية، خاصة اذا علمنا ان الكمامة مشابهة لحد بعيد للباس الأنثوي المميز لنساء المنطقة والذي يعرف باسم " العجار ".

فصارت الكمامة في نظر أفراد مجتمع البحث حاملة لدلالة الرمزية الأنثوية كونها مشابهة لعنصر من عناصر تمثلات الأنوثة التي يحملها الأفراد في ذهنيتهم حتى أنه بعد الإنتشار الواسع للوباء بين سكان القرية، نرى البعض لا يزال رافضا رفضا تاما ارتداء الكمامة، بينما فضل البعض الآخر خاصة الفلاحين

منهم والذين يرتدون عادة غطاء الرأس المعروف بالعمامة، فضلوا تحويل جزء من العمامة للثام يتلثمون به للوقاية من الفيروس، كل ذلك في ضل توفر الكمامات التي تبرعت إحدى الخياطات بالمنطقة بخياطتها وتوزيعها على كل من يرغب في ارتدائها فرغم مجانية الكمامة وانتشار الوباء إلى أن النظام الاجتماعي في هذه المنطقة "يشتغل باعتباره آلة رمزية هائلة تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي يتأسس عليها"(بورديو، 2009، صفحة 26) ورفض كل ما من شأنه تشويه هذه الهيمنة أو تلويثها بالرموز الانثوية.

3-5-غسل الأيدي:

إضافة الى انتقال فيروس كورونا عن طريق الاتصال المباشر بالرذاذ التنفسي الصادر من الشخص المصاب بالإمكان أيضا أن يصاب الفرد من جراء ملامسته للأسطح الملوثة بالفيروس، أو مصافحة شخص مصاب ولمنع ذلك أمرت المصالح الوقائية التابعة لمركز الصحة الجوارية سكان القرية بتفادي المصافحة مع ضرورة التباعد وترك مسافة لا تقل عن المتر والنصف بين الشخص والأخر في المجالات العامة، لكن ما رصدناه في مجتمع البحث منذ بداية الأزمة هو أن فكرة عدم المصافحة لم يكن مرحبا بها بين أفراد القرية اضافة الى رفض التخلي عن كل وسائل التماس التي من بينها تبادل القبلات بين النساء حيث أن البعض منهن و رغم وعيهن بخطورة الوضع يرون أن التفكير في خسارة علاقة اجتماعية أو تشوهها أصعب قليلا من فكرة الإصابة بالمرض وهو ما اطلعتنا عليه إحدى مبحوثاتنا (ن.م) البالغة من العمر 42 سنة بعد ملاحظتنا لها وهي تقوم بتقبيل عدد من النساء في طريقها للبيت، فرغم المستوى الثقافي والعلمي الذي تتمتع به بصفتها أستاذة تعليم ثانوي إلى أنها أفصحت عن عدم قدرتها الامتناع عن تقبيل من تلتقي بها خارج المنزل خاصة عندما يتعلق الأمر بالقريبات الأكبر سنا، لأن عدم تقبيلهن سيترك لا محالة أثرا نفسيا سيئا لديهن، وكما ورد على لسان مبحوثتنا فقد ينتهي الوباء لكن ترك أثر سيء في نفسية أحد من أهل القرية لن يزول بسهولة ومن المحتمل جدا أن تتشوه العلاقة بين الطرفين إلى الأبد لأنه إذا بادرت امرأة بالتقبيل ورفضت الأخرى ذلك وابتعدت عنها، ستشعر الاولى لا محالة بالإهانة وعند سؤالنا عن طبيعة فهمهن لهذا السلوك أي التقبيل رغم انتشار الفيروس، تلقينا اجابات تكاد تجمع على أن حسن النية سيجنهن العدوى و مصطلح النية في تمثلات مبحوثاتنا يرادف الوثوق التام في فعالية أي ممارسة مرافقة لهذه النية ودون أدنى شك لأن مجرد الإحساس بالشك يبطل الفعالية المنتظرة.

أما بالنسبة للرجال فقد استعنا بعدد من المخبرين الذين رصدوا لنا عدة شجارات قامت بين من يمد يده للمصافحة ومن يقابله بالرفض ولقد تطورت أغلب هذه الشجارات إلى التشابك بالأيدي فإذا كان العنصر النسوي تقبع في ذهنه فكرة أن النية الصافية تمنع كل سوء، هذه الفكرة التي ساهمت في انتقال العدوى إلى عائلات بأسرها في وقت وجيز، فإن العنصر الرجالي يتمثل رفض المصافحة بأنه ايحاء للمصافح على اتساخه لأنه من الشائع أنه من الوسائل الوقائية غسل اليدين بالماء والصابون في أغلب

الأوقات، فقد لاحظنا أن المتشاجرين عادة يتبادلون الشتائم ومعها قول عبارة معناها "أتضن أنني لا أملك صابونا بالبيت" أو عبارات أخرى مثل "صافحني -ديرلي قدر -وأعطيك مالا لشراء الصابون اذا لم يكن لديك" هذه السلوكيات وإن كانت شائعة في الوسط القروي، فإنها لا تعني عدم وجود بعض الأشخاص الذين يمتنعون عن الإقتراب من الغير وهما فئتان احداهما الأشخاص المرضى بأمراض مزمنة والذين يتلقون العطف الاجتماعي من قبل سكان القرية، ولاحظنا احترام الأفراد لرأي هذه الفئة في الابتعاد وعدم الاحتكاك بغيرها، اضافة الى فئة اخرى تمثلت في كبار السن الذين ذهبوا للحج قبلا، فرأي هؤلاء يحترم بفضل المكانة التي تحتلها رمزية الحج ودلالات الطهارة والنقاء التي تضفيها عليهم صفة الحاج أو الحاجة، فإذا بدر في ذهن الحاج أن يصافح فبإمكان الطرف الآخر تبادل المصافحة معه أما إذا رفض فإن كلامه مسموع دون أدنى نقاش وذلك راجع لمكانته الاجتماعية ذات الصبغة الدينية التي ضمنها له ذهابه الى الحج.

4-5-تغيير الطقوس الجنائزية:

قد يحمل القلق من الموت عبئا ثقيلا على أصحابه إلا أنه قد يكون أيضا نعمة كبيرة للإنسانية إذ يرى المحلل النفساني زيلبوك أن الطاقات النفسية والسلوكية المسؤولة عن حفظ الذات ما هي إلا نتاج للقلق من الموت (شولز، 2014، صفحة 45) غير أن أفراد مجتمع بحثنا أظهروا جلدا وصبرا في مواجهة خطر الموت بهذا الوباء، ويرجع ذلك إلى الخلفية الدينية للمجتمع فلا يمكن إنكار أثر المعتقد الديني على القلق من الموت حيث أن أغلب الدراسات النفسية قد أظهرت أن الإيمان بحياة بعد الموت يقلل من قلق الموت لدى الأشخاص ذوي الالتزام الديني (شولز، 2014، صفحة 60) فإيمان أفراد المجتمع بحياة ما بعد الموت وكذلك حتمية هذا المصير الذي لا يمكن تقديمه ولا تأخيره أدى إلى عدم وجود حالات الهلع الشديد من انتشار الفيروس مثل ما هو متداول في باقي انحاء العالم.

غير أن نصيبهم من الخوف قد انصب في منحى اخر تماما ألا وهو عدم تمكنهم من إجراء طقوسهم الجنائزية لمواتهم ضحايا الوباء، حيث أخذت وزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات على عاتقها التكفل بغسل الموتى المصابين بكورونا وتكفينهم ودفنهم ووضعت جملة من الإجراءات الوقائية الصارمة، هذه الأخيرة التي لم تراعى فيها طقوس الجنازة الخاصة بمجتمع البحث والتي يمكنهم من خلالها إظهار الاحترام للموتى، كما تمنح هذه الطقوس اقارب وأصدقاء المتوفي وقتا للحزن وإظهار حزنهم رسميا وهو ما يعتقد بعض الناس أنه سيساعدهم في التغلب على خسارتهم حيث يرى "دوجلاس" أن قلة طقوس العبور في الأوضاع العلمانية المعاصرة يترك الأفراد في حالة هامشية وبالتالي ينتظمون داخل المجتمع بصعوبة (Kertzer, p. 32)، فباعتبار ان الطقوس الجنائزية من بين أهم طقوس العبور التي من شأنها أن

تساعد الفاعل الاجتماعي لها على التكيف مع الوضع الجديد الذي تقام هذه الطقوس لأجله، يكون في إلغاء هذه الطقوس مخاطرة بالصحة النفسية لعائلات الضحايا بفيروس كورونا.

5-5-طقوس الاحتضار:

الاحتضار هو أول مظهر للموت ماثل للعيان يدركه المجتمع بصورة واضحة وهو المرحلة الأخيرة من مراحل الحياة التي تؤدي في نهايتها إلى الموت، حيث يمارس أفراد مجتمع بحثنا خلال الاحتضار عدة طقوس امتزج فيها الضابط الديني بالموروث الشعبي منها الحرص على توجيه المحتضر باتجاه القبلة واج تماع أهلة حوله "فهذه المراسيم هي تحويل طقس الاحتضار من كونه طقسا فرديا يعانيه الفرد المحتضر الى طقس جماعي يؤكد أهمية المعاني الثقافية والدينية والاجتماعية المتجلية في صورة التضامن الاجتما عي" (منصور و الخطاوي، 2017، صفحة 55) حيث ترافق هذه المراسيم تلاوة القران والدعاء والتضرع ا ذ أنه وبحسب الموروث الشعبي فإنه في لحضه الاحتضار تحضر قوى الشر المتمثلة في الشياطين فهي تأ تي على هيئة أفراد من أهل المحتضر المتوفين لا يراهم إلا هو ويخبرونه أنه يجب أن يموت على غير الاس لام ويغوونه بأن اليهودية أو النصرانية هي دين الحق وذلك للتدليس وإمساك المحتضر عن قول الشهادة ، وفي هذه اللحظة العصيبة التي يتعرض فيها المحتضر إلى اغواء الشيطان يقوم أحد الحاضرين بإمساك يد المحتضر ورفع إصبع الشهادة وتلقينه إياها وإذا لم يستطع النطق لجفاف حلقه يقوم الحاضرون بم حاولة جعله يشرب ما تيسر له من الماء. يتضح مما سبق أن "وظيفة طقوس الاحتضار هي العمل على ب ناء صلة عميقة بين الخالق والمخلوق في لحظاته الأخيرة حيث تمثل الايات القرآنية الأسلحة الشرعية في قراءتها عند رأس المحتضر وسبلا استغفارية ذات جدوى اكيدة المفعول في العالم الاخر "(منصور و الخ طاوي، 2017، صفحة 56)

غير أن البروتوكول الوقائي لا يسمح لأحد من أهل المريض بالحضور إلى جانبه وقت احتضاره وذلك بدعوى الحفاظ على الأنفس ودون مراعاة لنفسية المحتضر ولا لنفسية أهله "فهناك اتفاق وإجماع على ان وباء كورونا لا يؤثر فقط على الصحة الجسدية بل له أيضا تأثير على الصحة النفسية للفرد "(Gorwood & andrea, 2020) لذلك نجد ان العديد من المرضى بالوباء يفضلون البقاء بين افراد عائلاتهم حتى في الحالات الحرجة ورفض الذهاب الى المستشفى لأنهم يتمثلون المحيط الإستشفائي محيط خال من أي حضور روحي انساني من قبيل مساعدة المحتضر على نطق الشهادة قبل الموت أو حتى الاقتراب منه في لحظاته الأخيرة، بينما يجد هذا الحضور الروحي في بيته متمثلا في شخص الامام أو الطالب الذي يتلوا عليه ايات من القران ليخفف عنه سكرات الموت.

5-6-طقوس الدفن:

تتلخص اجراءات الدفن حسب البروتوكول الصحي بداية بعدم السماح لأهل الميت برؤيته إلا بعد تجهيزه مع منع لمسه، الى جانب استرجاع وتجميع الأغراض التي استعملها الميت قبل موته (الفراش والألبسة) ووضعها في كيس بغرض حرقها، ثم توضع الجثة في تابوت مغلق أو في غطاء محكم قبل أية عملية نقل كما يجب أيضا على الأشخاص المكلفين بنقل الجثة أن يرتدوا قفازات خاصة على ان تسترجع القفازات التي تم استعمالها خلال عملية الدفن للتخلص منها وكذا حفر القبر على عمق أربعة أمتار أو أكثر مع إنزال الجثة عن طريق الحبال بشكل بطيء داخل القبر.

وهو ما يطلق عليه سكان المنطقة بالردم وليس الدفن لأنه يتم بالجرافات بالإضافة الى تعيين فرد أو اثنين فقط من عائلة الميت لحضور مراسيم الجنازة، وهو امر يتعدى حرمات الطقوس الجنائزية المتوارثة جيلا عن جيل وبخلاف ذلك "أصدرت منظمة الصحة العالمية دليلا إرشاديّا بتاريخ 24 مارس 2020 أتبعته بتحيين صدر يوم 4 سبتمبر 2020 ويحثان كلاهما على احترام الطقوس الدينيّة والثقافيّة في دفن موتى الكوفيد-19 والتشديد على احترام كرامة الميت وضرورة الحداد والوداع بالنسبة للعائلة مع التعجيل بالدفن واحترام شروط السلامة" (World heath organization, 2020, p. 3).

يؤكد أغلب أفراد مجتمع البحث على ان هذا البروتوكول قد أوغل في إهانة كرامة الميت وتدنيس حرمة الموت والدوس على كل النواميس الجنائزيّة التي اعتمدها الإنسان منذ البدايات الأولى للوجود الإنساني على الأرض وسيترك البروتوكول الحالي آثارا نفسيّة عميقة على العائلات التي حرمت من توديع موتاها وزاد في عذاب العائلات التي عليها أن تنتظر لأسبوع او اكثر حتى صدور نتائج التحاليل لدفن موتاها.

5-7-طقوس الحداد:

طقوس العزاء من أهم الطقوس الجنائزية وهدفها من جهة تسهيل ألم الفقدان من خلال التركيز على خطوات ومراسم معينة تستمر لأيام عديدة، ومن جهة ثانية فإن هدفها توطيد العلاقات بين الناس وكذلك احترام الاهل والتماثل بهم حتى بعد رحيلهم، اذ يمثل طقس العزاء فضيلة اهم من العزاء نفسه كما تعمل طقوس الحداد على تفريغ المشاعر السلبية (Schoenfeld, 2014, p. 36) غير أن التدابير الوقائية تؤكد على ضرورة حضر التجمعات بما فيها الجنازات خاصة الموتى بكورونا إذ من المحتمل أن العدوى قد انتقلت لباقي أفراد أسرهم مما يجعلهم حاملين للفيروس، فيصبح الفرد المقبل على تقديم واجب العزاء معرضا نفسه وباقي افراد اسرته لخطر الإصابة بالوباء.

رغم ان تجربة العزاء هي تجربة شافية لأهل الميت اذ "يتشارك الأهل والأصدقاء ألم خسارتهم وبعد ذلك يشعرون أن عبء الحزن قد توزع بينهم جميعا " (Schoenfeld, 2014, p. 37) إلا ان الظروف لا تسمح بانجاز طقوس الحداد مما يعرض أهل المتوفي الى مواجهة حالة يطلق عليها علماء النفس "الحزن غير الكامل"حيث يستمر حزنهم لأنهم غير قادرين على تجربته بشكل كامل وعلني، ويمكن أن يتطور هذا الى رد فعل اكتئابي مستمر "(Schoenfeld, 2014, p. 38)

6- نتائج الدراسة:

- التّفاعل السلبي للأفراد مع الطرق الوقائية من المرض راجع إلى عدم ادراكهم لحقيقة الوباء وخطورته.
- رفض استخدام الوسائل الوقائية لتعارضها مع الخلفية الثقافية للأفراد كالدلالة الرمزية الأنثوية التي تحملها الكمامة إضافة إلى طبيعة المجتمع الذكوري الذي لا يسمح بتشويه مكانته الاجتماعية كرجل.
- عدم احترام بروتوكول الدفن لكل الممارسات الطقوس المتعارف عليها والتي تمثل الهوية الثقافية للمجتمع أدى الى رفض الخضوع للفحوصات الطبية والتكتم على الاصابة بالمرض مما ادى الى انتشار سريع لهذا الوباء.

خاتمة:

ان البروتوكول الذي تسعى من خلاله السلطات المحلية وكذا مراكز الصحة العمومية لحماية الأفراد من خطر انتشار الفيروس يمكن تحسينه من خلال المزيد من النظر في نتائج ودراسات علم النفس الاجتماعي ليتلاءم مع تمثلات أفرد المجتمع للمرض والموت بصفة خاصة، وهذا يكون برصد الخلفية الثقافية لأفراد المجتمع حول الصحة والمرض ومحاولة إعادة تعريف الفيروس وخطورته باختيار مصطلحات قريبة من فهم المجتمع المحلي، وهنا يأتي دور الاعلام هادف الذي يقوم بحملات التوعية فيجب أن يعكس في منشوراته وحصصه الشخصية الثقافية للمجتمع بكل فئاته.

مع محاولة التقليل من الاثار السلبية للحجر، والمتمثّلة في التّفكّك الاجتماعي وضرورة إجراء دراسات تمكننا من السيطرة على انتشار الامراض النفسية كالوسواس القهري والقلق جراء الضغط النفسي الشديد، والتي لا شك انه سيكون لها عواقب وخيمة على الصحة العامة في مرحلة ما بعد الوباء، مع ضرورة مراقبة السلطات لوسائل التواصل الاجتماعي التي صارت مجالا خصبا للإشاعة والتهويل في ظل ازمة فيروس كورونا، كما يجب تغيير بروتوكول الدفن بما يتلاءم مع شعائر وطقوس الدفن المعروفة والتي هي جزء مهم من الهوية الثقافية للمجتمع.

قائمة المصادروالمراجع:

بيار بونيت، و ميشال ايزار. (2006). *معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا*. (مصباح الصمد، المترجمون) مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

بيير بورديو. (2009). *الهيمنة الذكورية* (المجلد 2). (ماهر تريمش، و سليمان فعفراني، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

جميل محسن منصور، و ماجد مشير الخطاوي. (2017). التغيرات الاجتماعية في عادات وتقاليد أهالي الكوت -مراسيم طقوس الموت أنموذجا- دراسة أنثروبولوجية. *لارك للفلسفة واللسانيات والاعلوم الاجتماعية* (28).

حمدي مصطفى الشواني، و فتيحة محمد ابراهيم. (1992). *مدخل لدراسة الانثروبولوجيا المعرفية*. الرياض: دار المريخ للنشر.

حنين ماهر. (2020). *سوسيولوجيا الهامش في زمن كورونا*. تونس: المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعي.

ريتشارد شولز. (2014). *سيكولوجيا الموت والاحتضار والثكل* (المجلد 1). (حكمت الحلو، المترجمون) عمان، الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع.

محمد عباس ابراهيم، و فاروق أحمد مصطفى. (بلا تاريخ). *الانثروبولوجيا الثقافية*. دار المعرفة الجامعية.

مختار رحاب. (2016). *تمثلات المراة في المخيال المجتمعي* (المجلد 1).

مصطفى بوتفنوشت. (1984). *العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة*. (أحمد دمري، المترجمون) بن عكنون ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية.

مصطفى عوفي، و أحمد عبد الحكيم بعطوش. (ديسمبر, 2014). النظام العائلي الحديث والممارسات القرابية في المجتمع الجزائري. *مجلة العلوم الانسانية والمجتمع*(13).

Ansart, p. (1977). *Idéologie, conflits et pouvoir*. paris puf.

Gorwood, p., & andrea, F. (2020). *the consequences of the COVID pandemic on mentral health and implications for clinical practice*. eouropean psychiatry.

H.Greenawy, K. (May 2020). A social identity perspective on Covid, Health risk is affected by shared group membership. *Britisch jornal of socid psychology*.

Kertzer, D. (n.d.). *THE RITES OF PASSAGE Second Edition.*

L. stein, R., & L. stein, P. (n.d.). *the anthropology of religion .magic and witchcraft*. New York: Rout ledge Taylor & Francis group.

Schoenfeld, P. (2014, April 07). Why are funeral rites important ? *The Everett Clinic partof optum*.

Van Gennep, A. (1960). *The Rites of Passage*. Chicago: The University of Chicago Press.

World heath organization. (2020). *Infection prevention and control for the safe managemement of a deth body in the context of covid.*